قصص القرآن

أصحاب الأخدود

قلم : أحمد بهجت   ريشة : مصطفى حسين



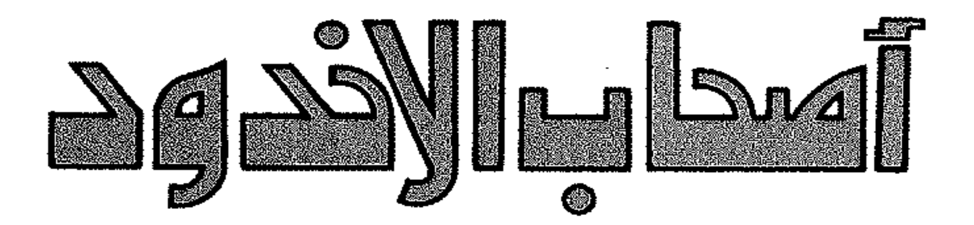
دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصري -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن



قلم: أحمد بهجت ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الفارسُ مثل سهمٍ من البرقِ .

راحَ يلهبُ ظهرَ حِصانِه بالسَّوطِ لِيَستحثّه على الجَري ، وكان الحصانُ يَجري بأقصى طاقَتِه ، وآنحدَر العرقُ على جسدِ الحِصانِ فَبلَّلَه ، ورغم ذلك فقد ظلّ يَجري في طريقهِ بين الجِبالِ والسُّهولِ ، مُستجيباً لأمرِ صاحِبه . .

كان واضِحاً أن الفارسَ الذي يَضربُ حِصانَه يَحمِلُ سِراً خَطيراً لا يَحتمِلُ التأجيلَ . .

بعد رِحلةٍ شاقّةٍ وصلَ الفارسُ إلى أسوارِ المدينةِ . . وكانت الشمسُ تَنحدِرُ نحو الغُروبِ ، وآنتشَر اللونُ الورديُّ الأحمرُ في السحابِ وآنعكسَ على وجوهِ السّائرينَ في الطُّرُقاتِ .

ولم يُقلِّلِ الفارسُ من سُرعتهِ حين وصلَ إلى طُرقاتِ المدينةِ ، وأفزعَ الناسَ في السوقِ بسببِ آندِفاعِه ، وأوقعَ الحِصانُ في طريقهِ بعضَ أقفاصِ الفاكهةِ لبائعٍ في السُّوقِ ، وصَرخَ البائعُ حَزيناً على فاكِهتِه التي تَحطَّمتْ تحت أقدامِ الحِصانِ . .

ورغمَ ذلك فقد مَضى الفارسُ يَشُقُّ طريقَه بنفسِ سُرعتِه حتى وصلَ إلى قصرِ الملكِ .



آستوقَفَه الحرسُ على بابِ القصرِ فأَخرجَ لهم خِطاباً من جيبِه وقال بِلهجةٍ آمِرَةٍ :

ـ معي خِطابٌ للمَلكِ . .

أَذِنوا له في الدُّخولِ ، فدخلَ الحديقةَ وترجَّلَ عن حِصانِه وآندفعَ مُسرِعاً حتى وصلَ إلى قاعةِ الانتِظارِ في قَصرِ الملكِ .

قابَلَه مُديرُ القَصرِ وسأَلَه ماذا يُريدُ .

قالَ الفارسُ : أُريدُ رُؤيَةَ الملكِ على الفورِ .

قالَ مُديرُ القصرِ : لكنّك تَبدو مُرهَقاً من رِحلتِكَ ، ولعَلَّكَ لم تأْكُل منذ الصباحِ ، كما أن المَلكَ في اجتماعٍ هامٍ ولا أَستطيعُ إزعاجَه الآن ـ لماذا لا تَنتظِر ؟

قال الفارسُ مُكشِّراً وقد بدا عليه الغضبُ : ليس مُهمّاً أن أَستريحَ أو آكُلَ ، إن الرِّسالةَ التي أَحمِلُها لا تَستطيعُ الانتظارَ . يجبُ أَن أرى الملكَ على الفورِ . . قُلْ للمَلكِ إن رَسولاً من نجرانَ يحملُ أخباراً هامةً ويُريدُ أن يراكَ .

ذهب مُديرُ القصرِ إلى الملكِ وعادَ بعد ثوانٍ قليلةٍ إلى الفارسِ وهو يقولُ له : يَنتظِرُكَ الملكُ في قاعةِ العرشِ الآن . . تَفضَّل معي . .

سارَ مديرُ القصرِ وسار الفارسُ معه حتى وصلا إلى قاعةِ العرشِ فتأَخَّر مديرُ القصرِ ودخلَ الفارسُ .

انحنَى الفارسُ للملِكِ وأَخرجَ من جَيبِه رِسالةً قدَّمَها إليه وهو صامتٌ . .

فتحَ الملكُ الرِّسالةَ وقرأَها فَتغيرَ وَجهُه . . ظهرتْ عليهِ عَلاماتُ الغضبِ ، مزَّقَ الرسالةَ وأَلقاها على الأرضِ . . نهضَ من كُرسيِّ العرشِ واتجهَ نَحو الفارسِ وقال له : هذه أَخبارُ سيئةٌ . . حدِّثْني عنها بالتَّفصيلِ .

قال الفارسُ : دخلَ الدينُ الجديدُ

إلى نجرانَ .

قـال الملكُ : كيفَ يَـدخُـل الـدينُ الجـديـدُ بغيــر إذنٍ مني ؟ هـذا غــزوٌ لِنجـرانَ . . أكملْ حَـديثَـكَ ، من هـو صاحبُ هذا الدّينِ الجديدِ ؟

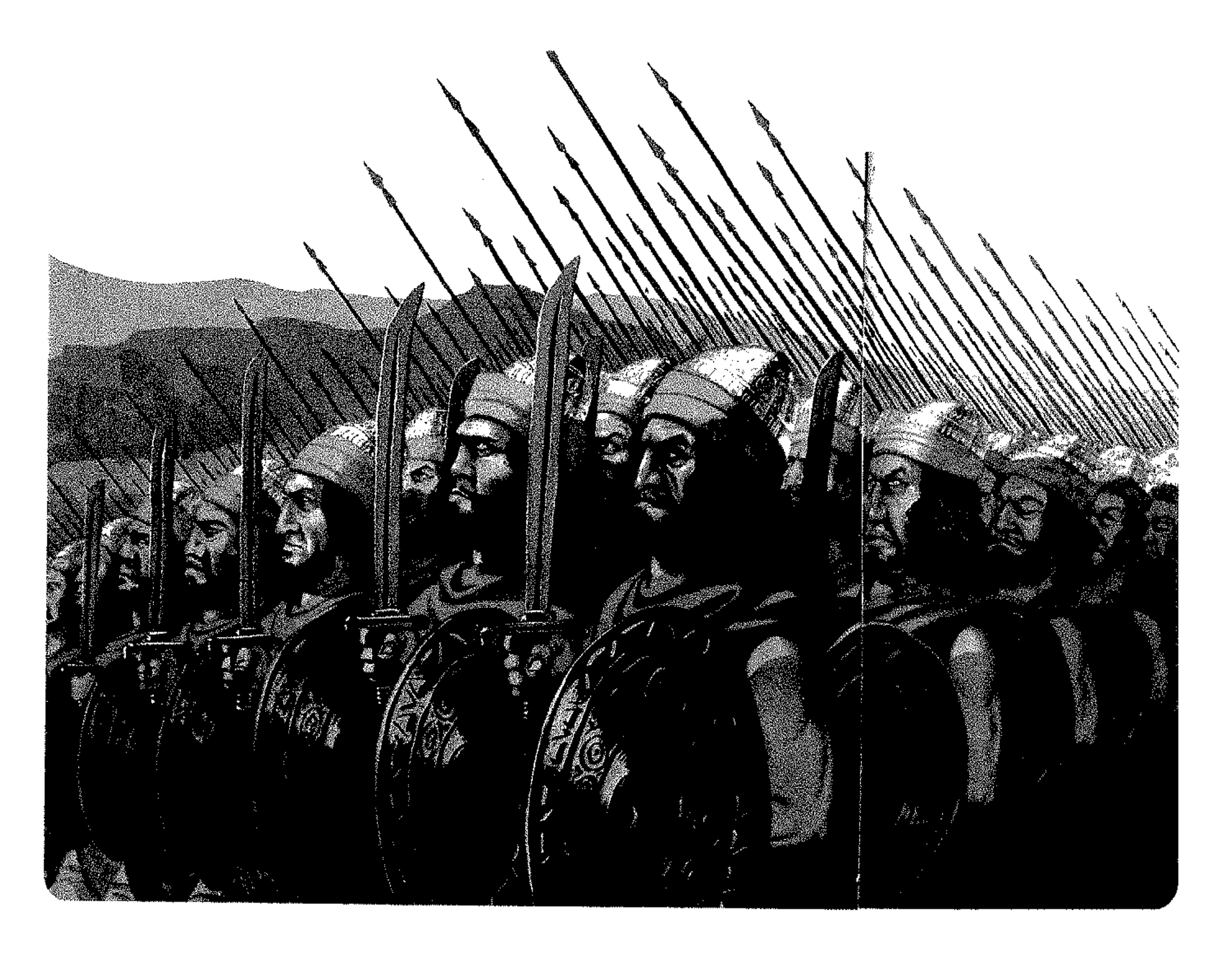
قـال الفارسُ : يقـولونَ إن صـاحبَه نبيٌّ يُسمونَه عيسَى المَسيح . .

سأله الملكُ . . ما الذي يَدعو إليـه الدينُ الجديدُ ؟

قــال الــفــارسُ : يَــدعــو إلــى الإيمانِ باللهِ وتَوحيدِه .

قـال الملكُ : من الـذي دخــلَ في الدينِ الجَديدِ ؟

أَجابَ الفارسُ : دخلَ الوَثنيُّـونَ في الدينِ الجديدِ وآمنوا بـالله ، ودخلَ فيـه بعضُ اليهودِ وآمنوا بـالله ، وهناكَ فِتنةٌ بين اليهودِ .



سـأَلَ الملكُ أخيـراً ، وهــو يَحني رأسَه ويُفكِّر : حـدِّثني كيف دخلَ هـذا الدينُ الجديـدُ إلى نَجرانَ . . حـدِّثني عن المسؤولِ عن تَسلُّلِه .

قال الفارسُ : تسلّلَ هذا الدينُ عن طريقِ غُلامٍ مُؤمنٍ وجدَه سادتُه الوثنيُّونَ لا يُصلِّي للنَّخلةِ التي يَعبُدونَها . .

سأَلوهُ : لمن تُصلِّي إذن ؟

قال الصبيُّ المُؤمنُ : أُصلي لله . . خالق النخلِ وخالق كُلِّ شيءٍ .

قـال الـوثنيـونَ (الـذينَ يَعبُــدونَ غيــرَ الله) : لكنَّ هـذه النخلةَ تَنفعُنـا وتَمنعُ عنا السوءَ .

ضحـكَ الصبيُّ سـاخِـراً وقـال : لا تُصدِّقوا ذلك . . النخلةُ لا تَستطيعُ أن تنفـعَ أَو تضرَّ بـل إنها لا تستـطِيعُ دفـعَ

السوءِ عن نَفسِها . . لو صلَّيتَ لله لكيْ تَحتـرقَ النخلةُ فـاْحتـرقتْ . . هـل تَتّبِعونَ دينَ المسيحِ وتُؤمنونَ بالله ؟

قالوا : نعم . .

وجـاءَ الليـلُ على الـصبيِّ وهـو يُصلِّي . . كـان يُصلِّي ويَـدعـو . . وتَجمَّعتْ في السمـاءِ سُحبٌ كثيفـةٌ واْشتدَّتْ حركةُ الرِّياحِ . واْكفهرَّ الجـوُّ وتغيَّرَ . . وبَرقَ البَرقُ واْرتجَّتِ الأرضُ بصوتِ الرّعـدِ . . وهَوتْ صـاعِقةٌ من السماءِ على النَّخلةِ فاْحترقَتْ ، وشاهدَ الناسُ جَميعاً مَعبودَهُم وهو يَحتـرقُ ولا يَستطيـعُ أن يـدفـعَ عن نفسِـه النـارَ أو يُطفِيءَ الحريقَ .

ودَخلوا في الإيمانِ بالله . .

اْستمَـع الملكُ صامِتـاً عـابِسـاً لِمَـا يَقـولُـه الفـارسُ . . اْنتهَى من كـلامِـه فَصـرفَهُ . . لَم يكـدِ الفـارسُ يَنصـرِفُ حتى أمـرَ الملكُ أن يَجتمِـعَ مجلسُ الوُزراءِ وقادةُ الجيشِ . .

اْجتمـعَ الجميـعُ وجَلسـوا صـامِتينَ وتحدَّثَ الملكُ .

قـال : أُريـدُ أن يستعِـدَّ الجيشُ لِلحـربِ . . سنُهاجِمُ نَجـرانَ . . لقـد آمنَ الناسُ فيها بدينٍ غير ديننا . . آمنوا بـإلهٍ واحـدٍ بشَّر بـه نبيٌّ جـديـدٌ اْسمُـه المسيـحُ . . يجب أن نُؤدِّب الـذيـن هَجروا دِينَنا . .

وسوفَ يكونُ تأديبُهم حاسِماً . .

اْنفضَّ الاجتِمـاعُ واْنصـرفَ كـل واحـدٍ إلى عملِه . . ودخـلَ الـملكُ غُرفته وراحَ يشربُ الخمرَ . .

كان الملكُ يَهودِياً قَسا قلبُه وخَلا من الإيمانِ والرَّحمـةِ ، كان يَهـودِياً اْبتعـدَ

عن تعاليمِ موسَى إلى شيءٍ يُشبِه الوَثنيةَ . . ولو أنه كان يَهودياً يُؤمنُ بالله لَما كرِهَ أن يكونَ هناكَ مَسيحيُّونَ يُؤمنونَ بالله . .

بعد أيامٍ تحرّكَ الجيشُ . .

كانت خُطَّةُ الملكِ أن يُحاصِرَ المدينةَ حتى يَستسلِمَ أهلُها ، ثم يَضعُهُم أمامَ أمرٍ من اثنينِ .

إما أن يَعودوا إلى دِيانتِه بكلِّ ما تَنطوي عليه من شَوائبَ وَثنيةٍ . . أو يَقتُلُهم بنارِ الحريقِ . .

كان قرارُه الظالمُ يعني تَخييرَ المُؤمنينَ بين الإيمانِ والموتِ حَرقاً أو الكُفرِ والنجّاةِ . . وكان معنى تَخييرِه أنه يُخيِّرُ المُؤمنينَ بين الموتِ حَرقاً في الدُّنيا ، والنَّجاةِ من حريقِ الآخرةِ ، أو النَّجاةِ في الدُّنيا والهلاكِ في حريقِ الآخرةِ . .

وكان الملكُ يظنُّ أنه سَيُخيفُ المؤمنينَ بِتهديدِه وجَيشِه . .

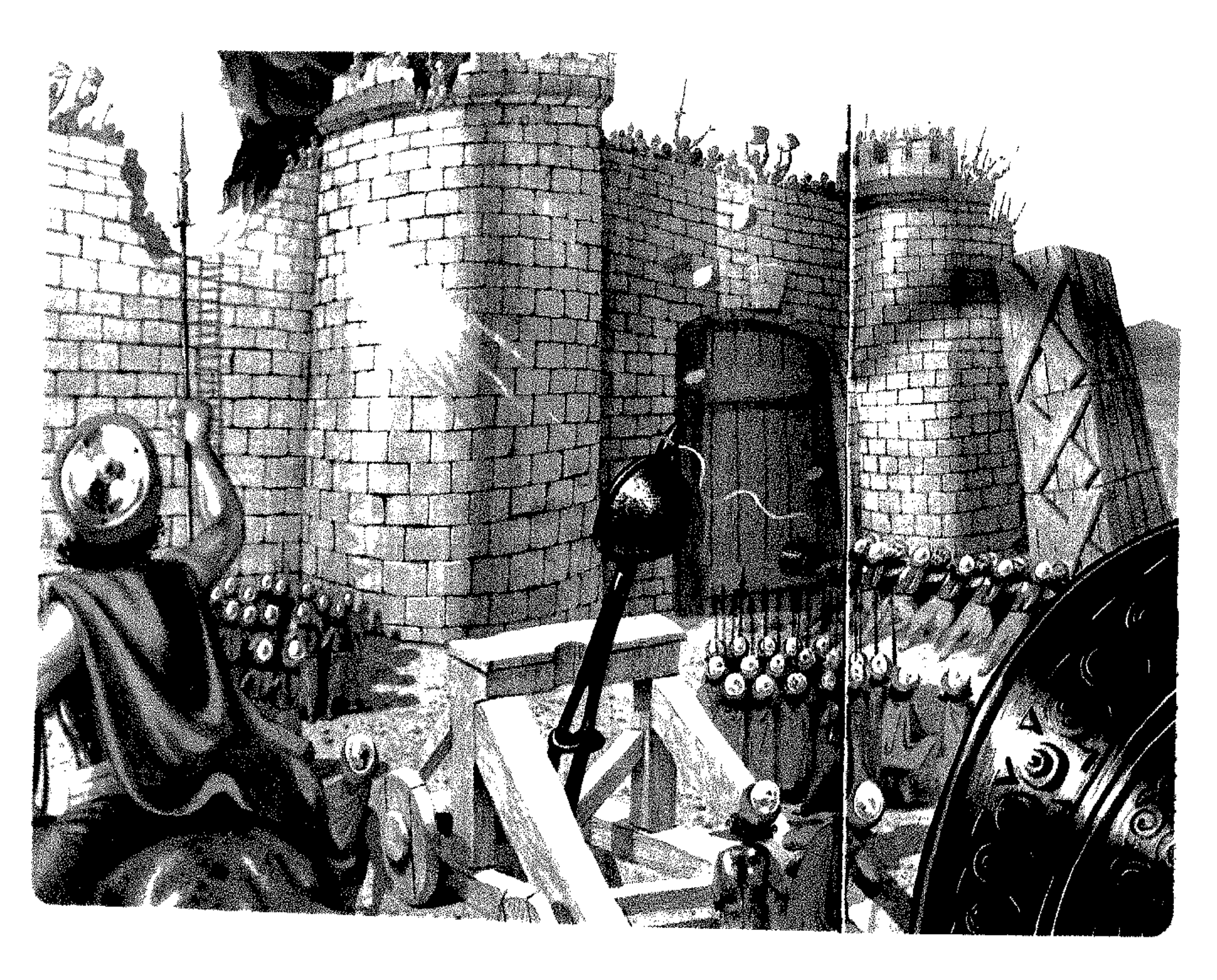
وصلَ الملكُ إلى نجرانَ وحاصَرها بجيشِهِ الهائلِ ، وقاتلَ أهلَها بشجاعةٍ ، ولكنَّهم كانوا عَدداً قَليلاً يفتقرُ إلى المُعداتِ والسِّلاحِ ، وآنهزموا ، فدخلَ الملكُ المدينةَ وأحضَر المُؤمنينَ وأوقفَهُم أمامَه وهم مُكبَّلونَ في السَّلاسِلِ والقُيودِ وقال :

عُودوا إلى دِينِنا وإلا قَتلتُكُم جَميعاً . .

وتكلَّمَ الغُلامُ المؤمنُ . .

قال : نحن نَدعوكَ إلى الإيمانِ بالله أيها الملكُ .

قال الملكُ : سأَحرِقُكُم بالنارِ بعد صلبِكُم إذا لم تَعودوا إلى دِيانتِكُم السابِقةِ . . أنتم مُتَّهمونَ بالخيانةِ العُظمى . . إنَّ آختيارَ دينٍ آخر



غيـر ديننـا يعنـي الخِيانةُ . . وهي خِيانةٌ سوفَ تَدفعونَ ثَمنها عَذاباً هائِلاً .

قال الغُلامُ المؤمنُ : لن نَخـرجَ من الإيمانِ بالله مهما تَعذِّبنا .

أَمـر الملكُ جُنودَه بحفـر أُخدودٍ هـائـلٍ فـي الأرضِ . . تـمَّ حـفـرُ الأُخـدودِ . . فـأمـرَ الملكُ أن يَمـلأوا الأُخـدودَ بـالـحـطبِ الـجـافّ . . مَلأوهُ . . أمر الملكُ أن يُبلِّلوا الحـطبَ بالزيتِ فَفعلوا . . أمر بعد ذلـك بتقييدِ المُؤمنينَ وراحَ يَضـعُهـم في الأُخـدودِ واحـداً بعـد الآخـر . . حتى آمتـلأَ الأُخدودُ بالمؤمنينَ . .

قال الملكُ الوثنيُّ لِلمؤمنينَ :

أَمـامَكُم فُـرصـةٌ أخيرةٌ لِلعـودةِ في دينِنا . . إذا رَفضتُم أَمرتُ بإشعالِ النارِ في الحطبِ . . ماذا تَقولون ؟



لم يقُل المُؤمنونَ شَيئاً . . كان حفرُ الأُخـدودِ بمثـابـةِ طَعنـةِ خـوفٍ نـافـذةٍ مُوجَّهةٍ نحو القلبِ . .

وطِـوالَ الفترةِ التي آستغـرقَها حفـرُ الأُخـدودِ كانت الشّـائعـاتُ تَـتـطايـرُ ، وكان مُجرّدُ آشتغالِ الجُنودِ في الحفـرِ عَمـلاً مُرهِباً بحَقّ . كـانت النـاسُ لا تسألُ أبداً .

ــ لماذا يَحفِرُ الجنودُ هذا الأُخـدودَ العظيمَ ؟

كان السؤالُ مُمتنِعاً وكـانت الإجابةُ مَعروفةً . .

هنا سوف يُحرَقُ المُؤمنونَ أَحياءً .

ما هو ذَنبُهم لِيُحرَقوا أَحيـاءً ؟ ما هي الجَريمةُ التي آرتكَبـوها لِيقَـع لهم هذا العِقابُ الأليم ؟

إنهم يُؤمنونَ باللهِ . . هذا هو كلُّ ذَنبِهم . . وهذه هي كلُّ جَريمتِهم . .

كان هذا كلُّه مَعروفاً . . وكان حَفرُ الأخدودِ هو الرمزَ النِّهائيَّ لِلظلمِ والطُّغيانِ . .

كانت كلُّ فأسٍ تَرتفعُ لِتهوي على الأرضِ تَرفعُ معها هذه الفِكرةَ الظَّالمةَ .

فكرةُ طُغيانِ الطُّغاةِ على المُؤمنينَ . .

سكتَ المُؤمِنونَ ولم يَقولوا شَيئاً . .

رنَّ في أذهانِهم تَهديدُ الملكِ الوثنيِّ الظَّالمِ ، كان يُهدِّدُهم بالحَريقِ إذا لم يَعودوا في مِلَّتِه الكافِرة . . وآختارَ المُؤمنونَ الحريقَ . . آختاروا الشَّهادةَ في سبيلِ اللهِ . .

وفهِم الملكُ آختيارَهُم فأمرَ بإشعالِ النارِ في الأُخدودِ . .



أصبحَ المُؤمنونَ الآن وسطَ الأُخدودِ ، وقد قُيِّدوا في الحبالِ وَسلاسل الحديدِ . .

وآشتعلت النارُ وسطَ الأُخدودِ وراحتْ تَتنقَّلُ إلى أطرافِه حتى آشتعلتْ فيه كلّه . .

وَوقفتِ القُوةُ الكافرةُ تَشهدُ عذابَ المُؤمنينَ . . حين بدأت النارُ تَشتعلُ في المؤمنينَ وقعت أُمورٌ كثيرةٌ ، تصايحَ الكافِرونَ وهلَّلوا ، وسادَ المُؤمنينَ سلامٌ قلبيٌّ عجيبٌ . . أكلتِ النارُ مَلابِسَهُم وأكلتْ جُلودَهُم ومضتْ تحرقُ أَجسادَهُم ، ولكنّهم آحتمَلوا العَذابَ في صمتٍ ورضا . . وتَحوَّلَ كلُّ مؤمنٍ من المُؤمنينَ إلى شُعلةٍ مُحترقةٍ تُضيءُ وسطَ ظلامِ الحياةِ . .

انصرفَ الملكُ من أمامِ الأُخدودِ بعدَ أن تأكَّدَ أن المُؤمنينَ قد احترقُوا . .

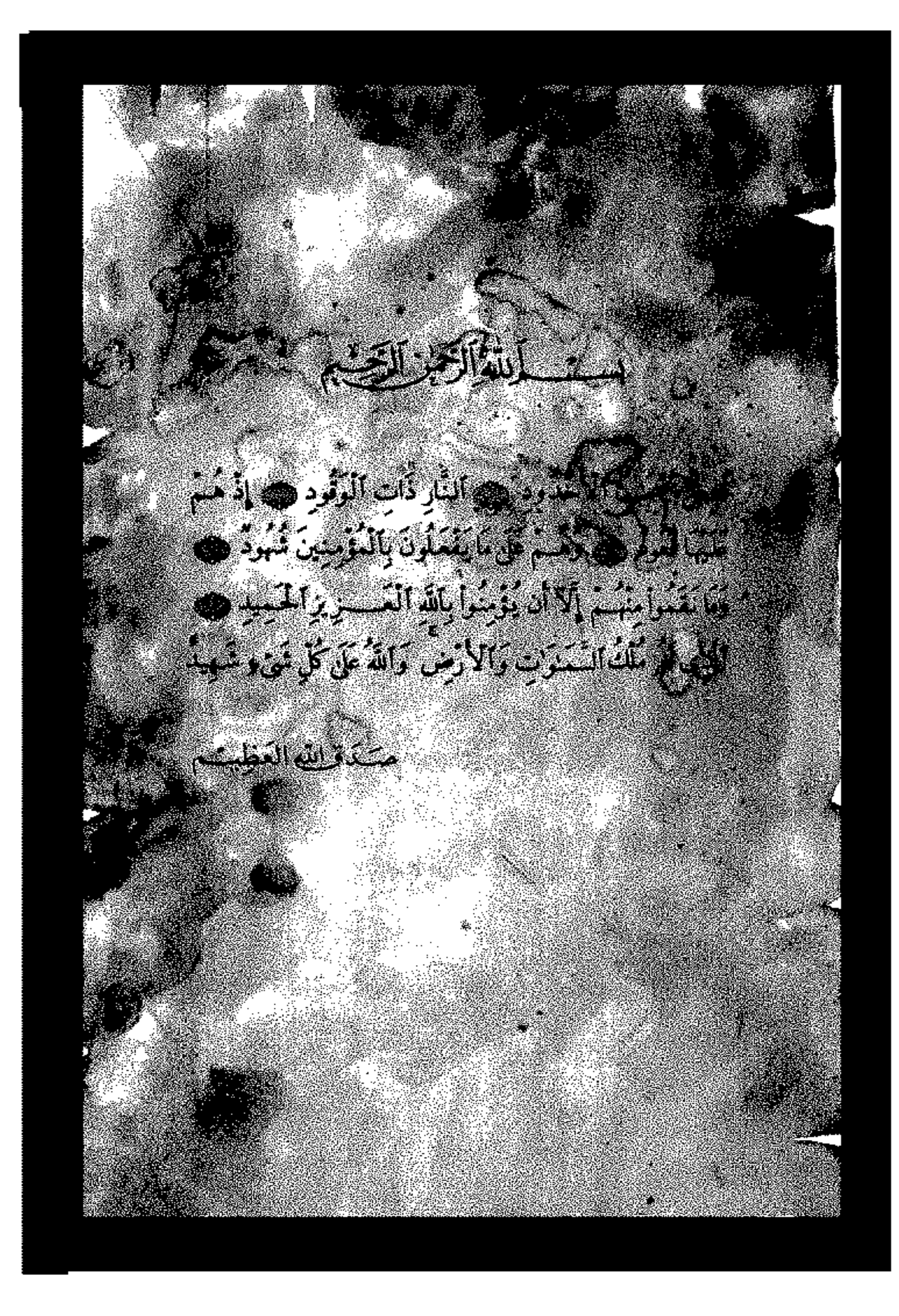
كان صَدرُه يَغلي بالحِقدِ عليهم . . ولم يكنْ يَنقُم منهم إلا إيمانهم باللهِ العزيزِ الحميدِ . . كان الملكُ سَعيداً لأنه دمَّرهُم ، واعتبرَ أنه انتصرَ لِكبريائِه وآلِهتِه وأرضاها . .

ومرت أيامٌ قليلةٌ ، وسقطَ الملكُ مَريضاً لغيرِ سببٍ واضحٍ . . زارهُ الأطباءُ من جميعِ أنحاءِ المملكةِ لِعلاجِهِ ، وفَشلوا في عِلاجِه ، واستدعَى أَطباءُ المَمالِك المُجاورةِ ، فلم يَعرِفوا سرَّ مرضِه ، وفَشلُوا في عِلاجِه ، وقُدِّمتِ القرابينُ للآلِهةِ الوثنيةِ ، وراحَ الكهنةُ يَسألونَ هذه الأوثانَ شِفاءَ الملكِ ، كان الملكُ يَتعذَّبُ عَذاباً هائِلاً . . لم يكن يَستطيعُ أن ينامَ من فرطِ الآلامِ التي يَحسُّها في جسدِه كلِّهِ . .

كان يَصرخُ في قصرِه فَيفزعُ الأطفالُ النائمونَ في مَدينتِهِ من هولِ صَرختِهِ . . كان يرى مَشهداً واحداً أمامَ عينيهِ : ابتسامات المؤمنينَ وهم يَحترقونَ في الأُخدودِ . .

وكانتْ هذه الابتسامات تملأُ جَسدَهُ كلَّهُ بوجعِ الحريقِ وآلامِهِ ، ومضتْ حالةُ الملكِ تَسوءُ ، وكان الوجعُ يَدفعُه إلى القَفزِ من فِراشِهِ ومُحاولةِ تَحطيمِ رأسِه في الحائطِ . . واضطرَّ وُزراءُ الملكِ إلى سجنِهِ داخلَ غُرفةٍ مُبطَّنةِ الحَوائط . .

وبعد سنينَ من العذابِ الأليمِ مات الملكُ . . ولم يكن موتُه راحةً لَه . . فقد عادَ إلى الله حيثُ يبدأُ عذابُه بنارِ الجحيمِ .


بسم الله الرحمن الرحيم
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ
عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝
وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝
صدق الله العظيم